بداية التواجد التركي في الخلافة العباسية

الباحث/ مطيع مرعي مطيع

الملخص باللغة العربية:

تتناول هذه الدراسة بداية التواجد التركي في الخلافة العباسية؛ فمنذ انتقال عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامراء بعد أن بناها الخليفة المعتصم وأقطع فيها القطائع لجنوده من الأتراك، ظلت سامراء عاصمة للخلافة العباسية ما يقرب من خمسين عام، تحولت خلالها إلى عاصمة عامرة بالحدائق والقصور، كما أصبحت مقراً للعصبية التركية، ومنذ آنذاك أخذت تبرز في حياة الخلافة العباسية شخصيات تركية كان لها أثر كبير في الحياة السياسية والحياة العامة واستطاعت تدريجياً السيطرة على مفاصل الخلافة.

الكلمات المفتاحية: الأتراك، العباسي، بغداد، عصبية

ملخص اللغة الإنجليزية:

This study deals with The beginning of the Turkish presence in the Abbasid Caliphate, Since the transfer of the capital of the caliphate from Baghdad to Samarra, after it was built by the Caliph Al-Mu'tasim and cut off the parts for his soldiers from the Turks, Samarra remained the capital of the Abbasid Caliphate for nearly fifty years, during which it turned into a capital full of gardens and palaces. It also became a seat of Turkish fanaticism, and since then, Turkish figures who had a great impact on political and public life began to emerge in the life of the Abbasid Caliphate, and gradually managed to control the Caliphate.

Keywords: Al-Atrak, Al-Abasi, Baghdad, Neveria

بالمقارنة بين العصرين الأموي والعباسي نلاحظ أن الجيش في العصر الأموي كان يتكون من القبائل العربية وبعض الموالي[١]، وكان الجند على استعداد دائم لإجابة داعي الجهاد ونداء الحرب، أما في العصر العباسي فقد أعد العباسيون جيشاً نظامياً، محاولين القضاء على العصبية القبلية التي قضت على الخلافة الأموية، لذلك كان جيشهم خليطاً من عناصر خرسانية وعربية، وكان اعتماد العباسيين على العنصر الفارسي في بداية دولتهم جعلته العنصر الأساسي في جيش بني العباس[٢]، وفي ذات السياق يقول إدوارد براون[٣] عن العباسيين بصيغة تعصبية: إن"حماسة العرب الحربية قد فترت، وحرارتهم المذهبية قد خمدت، وباتوا لا يلعبون الدور الأول في تاريخ الإسلام كما كان شأنهم".

اتبع الخلفاء العباسيون سياسة تقسيم الدولة بين أبنائهم إلا أن قوة الخلفاء الأوائل وهيبتهم ومساعدة الفرس لهم، وإيمان الفرس بتقديس الخلفاء، مكنهم من القضاء على كل طامع أو ثائر على الخلافة، على عكس ما حدث في العصر الثاني(٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٦م) حيث اعتمد الخلفاء على العنصر التركي وهو عنصر أقل حضارة من العنصر الفارسي[٤]، ويمكننا أن نقول على كل من نطق بالتركية تركي، وينتمي لهذا العنصر[٥].

كما يمكننا اعتبار حكم المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) نهاية فترة النفوذ الإداري والسياسي للفرس في جسم الدولة العباسية، إذ أنه بعد وفاته بدأت سيادة العناصر العسكرية وأخذها الدور الرئيسي في تسيير دفة الدولة وتقرير سيادتها بعد أن كانت تلك العناصر ثانوية أو مسيرة من قِبل الوزراء والكتاب[٦]. ومن ثم تم إسقاط العرب من الديوان[٧].

---

(١) الموالي: هم أهل البلاد المفتوحة من العجم الذين ترجع أصولهم للفرس، ثم اعتنقوا الإسلام وانتقلوا إلى البلاد العربية وارتبطوا بقبيلة أو بشخص عربي بعد إسلامهم لضمان حماية اجتماعية لهم، وأُطلق عليهم اسم "موالي الخليفة"، والموالي أقرب إلى العرب في كثير من المعاني، لأنهم عرب في المدعى –النسب– وفي العاقلة –العصبة التي تعقل عن القاتل ديته– وفي الوراثة، وعلى شبيه ذلك صار حليف القوم منهم، وحكمه حكمهم (الجاحظ: رسائل الجاحظ "مناقب الترك"، ج١، ص١٢، حمدان الكبيسي: عصر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥– ٣٢٠هـ/ ٩٠٧–٩٣٢م) دراسة في أحوال العراق الداخلية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، بغداد– العراق، ١٩٧٤م، ص٨٦).

(٢) أمنية محمد محمود أحمد إدريس: الجيش العباسي منذ عهد نفوذ الأتراك حتى دخول البويهيين بغداد ٢٢٢-٣٣٤هـ/ ٨٤٧– ٩٤٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٣– ٤.

(٣) تاريخ الأدب في إيران، الجزء الأول، البابان الثالث والرابع، ترجمه من الإنجليزية إلى الفارسية علي باشا صالح، ترجمه إلى العربية أحمد كمال الدين حلمي، تقديم محمد علاء الدين منصور، الطبعة الأولى، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م، ص٤٧.

(٤) أحمد محمد عدوان: الدولة الحمدانية، الطبعة الأولى، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، الجماهيرية الليبية، ١٩٨١م، ص١٢.

(٥) عبد الباري محمد الطاهر: فرسان الخلافة في العصر العباسي الأول، ص٢٣– ٢٤.

(٦) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت– لبنان، ١٩٩٧م، ص١٧٣– ١٧٤.

(٧) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، الطبعة الثانية، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، مصر الجديدة– مصر، ١٩٥٦م، ج١، ق١، ص١٤– ١٥.

ويعد أبو جعفر بن المنصور (١٣٧-١٥٨هـ/ ٧٥٤- ٧٧٥م) هو أول خليفة استخدم الأتراك حيث اتخذ حماداً التركي[١]، ثم استعان المهدي بعده بمبارك التركي[٢].

وفي عهد هارون الرشيد (١٧٠- ١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) نجد إشارة إلى أن طرسوس[٣] عُمرت على يدي أبي سليم فرج الخادم التركي[٤] ونزلها الناس[٥]، ولكن تواجد الأتراك كان ضئيلاً واستخدامهم كان بطريق الصدفة لا عن سياسة مدبرة[٦].

والمأمون هو أول من استعان بالعنصر التركي بشكل متوسط، بل اشترك عدد من فرسان الأتراك في حرس الخليفة[٧]، عندما لمس حالة المنافسة الشديدة بين العرب والفرس، وجاء أخوه الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م) بعده فتوسع في استخدام المماليك الأتراك اعتقادا منه خطأ بأنهم مجردون من الطموح الذي اتصف به الفرس ومن العصبية التي عُرف بها العرب[٨].

ولقد اشتد الصراع بين الفرس والأتراك، كل يريد الغلبة لنفسه، ويريد القضاء على الآخر، وكانت بغداد نفسها في كثير من الأوقات -فيما بعد- مسرحاً للقتال بين الفرس وبين الأتراك، ولما مالت الكفة لصالح الأتراك، توجه الفرس بقوتهم إلى أطراف البلاد، وتمكنوا مع الوقت من اقتطاع أجزاء من الدولة، وتأسيس دول لهم مستقلة عن الخلافة فعلياً تابعة لها اسمياً[٩]. لكن هذا موضوع آخر بعيد عن هدف الرسالة.

وما يهمنا هو أن اتباع سياسة التوسع في استخدام الأتراك عادت بشكل سلبي على دولة الخلافة، ظهرت نتائجه مع مقتل الخليفة المتوكل(٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م) فيما بعد سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، إذْ أخذ الأتراك لما كثروا في بغداد في التدخل

(١) حماد التركي: نقلد منطقة السواد في عهد الخليفة المنصور (الجهشياري: الوزراء والكُتّاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، تقديم عطية أحمد القوصي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة ذخائر العرب، القاهرة- مصر، أكتوبر ٢٠٠٤م، ص١٣٤).

(٢) القلقشندي: مأثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، تقديم صلاح الدين المنجد، عالم الكتب، بيروت- لبنان، د.ت، ج٣، ص٣٤٧. ومبارك التركي: اسمه المهدي مبارك كان من أوائل الأتراك الذين استخدموا في بداية الدولة العباسية (أبو هلال العسكري: الأوائل، تحقيق وضبط وتعليق محمد السيد الوكيل، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا والمنصورة- مصر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٦٩).

(٣) طرسوس: مدينة من الرابع من بلاد الأرمن، وهي مدينة مشهورة وكانت ثغرا من ناحية بلاد الروم على ساحل البحر الشامي، وهي مدينة كبيرة عليها سوران من حجارة، وهي في غابة الخصب، وبينها وبين حد الروم جبال هي الحاجز بين الروم وبين المسلمين (ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٨٣، ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص٤٥٣- ٤٥٤).

(٤) أبو سليم فرج الخادم التركي: خادم الرشيد المتولي له بناء طرسوس، وهو صاحب الفداء الأول بين المسلمين والروم سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م باللامس من ساحل البحر الرومي على نحو ٣٥ ميلاً من طرسوس (المسعودي: التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة- مصر، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص١٦٠ -١٦١).

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، ١٤٢٤هـ، ص١٦٥٦.

(٦) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص١٧٧.

(٧) السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب- العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية- مصر، ١٩٩٣م، ج٣، ص٢١٠.

(٨) اليعقوبي: البلدان، طبعة المكتبة المرتضوية ومطبعتها الحيدرية، النجف- العراق، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، ص٢٣- ٢٥، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٢، ص٢٨٥، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، د.ت، ص١١٧.

(٩) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، الطبعة الخامسة، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، د.ت، ص٣٢٥.

في شئون المُلك، وصار لهم الحل والعقد، حتى أصبح الخليفة في أيديهم كالأسير، إن شاؤوا أبقوه، وإن شاؤا خلعوه، وإن شاؤوا قتلوه(١).

ولعل كون أم المعتصم تركية(٢) ساعده على التعرف بالأتراك(٣)، لكن الواقع يقول إن الذي دفعه إلى سياسة اتخاذ الأتراك، هو اختلال التوازن بين عناصر الدولة العباسية، فلقد ساءت العلاقة بين الخراسانيين وبين العباسيين، وظهرت استحالة التوفيق بين آمال الخراسانيين وبين مصالح العباسيين، فالتجأ المعتصم إلى عنصر الأتراك ليجعل منه الركن العسكري للدولة، وكان الإستكثار من الترك وتقريبهم ضربة عنيفة للقواد والجند العرب أيضاً، وهو في ذلك سار على سياسة الخليفة المنصور القديمة القائمة على حفظ التوازن في الجيش بين الفرق الأعجمية والفرق العربية(٤).

وحول هذا الصراع العربي الفارسي أدعى براون(٥) أن الصراع بين الأمين (١٩٣– ١٩٨هـ/ ٨٠٩– ٨١٣م) والمأمون كان صراعاً بين العرب والفرس على الرياسة، وبعيداً عن مدى صحة ما ذهب إليه براون من عدمه، فيمكننا القول إن المعتصم تمكن آنذاك بالفعل من إيجاد نوعًا من التوازن بإستجلاب الأتراك، من أقاليم ما وراء النهر مثل: سمرقند(٦)، وفرغانة(٧)، وأشروسنة(٨) وغيرهم. إما عن طريق الأسر في الحروب أو عن طريق الشراء –النخاسة– أو عن طريق الهدايا من ولاة تلك الأقاليم، فقد كانت بلاد ما وراء النهر سوقًا كبيرًا ومركزًا رئيسيًا لتدريبهم وتربيتهم حتى صار انقطاع هذا النوع من الهدايا علامة من علامات الثورة في الأقاليم التركية(٩).

وبلغ الاهتمام بهم مبلغاً كبيراً فجُعل لهم عدة إقطاعات مخصصة لهم وتم مراعاة توفير سبل الاستقرار الأُسري لهم من بني جلدتهم، فها هو اليعقوبي(١٠) يصف لنا ذلك قائلاً: "وصيّرت قطائع الأتراك جميعًا، والفراغنة العجم بعيدة من الأسواق والزحام في

(١) العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٣، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١١٧– ١١٨.

(٢) كانت أمه جارية تركية اسمها ماردة أو مارية (أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص١١٧).

(٣) السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب– العصر العباسي الأول، ج٣، ص١٠.

(٤) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص١٧٧– ١٧٨.

(٥) تاريخ الأدب في إيران، ص٤٩.

(٦) سمرقند: ويقال لها بالعربية سمران، وهي بلد معروف مشهور بما وراء النهر، وهي قصبة الصغد، بنيت جنوب وادي الصغد، وقيل أنه بناها شمركنت، وعربت فقيل سمرقند (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٦، ٢٤٨).

(٧) فرغانة: اسم للإقليم وفيه مدن وكور وقصبتها مدينة أسبيذبلان، وهي ولاية وراء الشاش وراء جيحون وسيحون وهي من الإقليم الخامس (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص٤٩٢).

(٨) أُشْرُوسَنَة: إقليم أشروسنة، من أقاليم نهر سيحون، ويكتب أيضا: أسروشنة وسروشنة وستروشنة، وقصبتها مدينة أشروسنة، ويقال لها أيضا بونجكث وبنجكث، بناؤها طين وخشب، ولها مدينة داخلة منها، هليها سور بذاتها، وسور على ربضها، ولها سور آخر من وراء ذلك. وللمدينة الداخلة بابان: أحدهما يدعى الباب العالي، والآخر باب المدينة، وكانت المدينة مشهورة بالبساتين (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥١٧– ٥١٨).

(٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٩٢– ٤٩٤، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١١٧.

(١٠) البلدان، ص٢٦.

شوارع واسعة، ودروب طوال، ليس معهم في قطائعهم ودروبهم أحد من الناس يختلط بهم من تاجر ولا غيره، ثم اشترى لهم الجواري فأزوجهم منهن ومنعهم أن يتزوجوا ويصاهروا إلى أحد من المولدين إلى أن ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم إلى بعض واجرى لجواري الأتراك أرزاقاً قائمة وأثبت أسماءهن في الدواوين فلم يكن يقدر أحد منهم يطلق امرأته ولا يفارقها".

والمعتصم هو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان، وكان يتشبه بملوك الأعاجم، ويمشي مشيهم، وبلغت غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً[١]، ويظهر أن المعتصم استخدم الأتراك قبل الخلافة إذ كان لديه في سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م غلمان أتراك[٢]، وكان عددهم أيام المأمون زهاء ثلاثة آلاف غلام[٣]، ثم زادوا عندما توجه إلى ولاية مصر في سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م أبان خلافة أخيه المأمون أيضاً إلى أربعة آلاف جندي من الأتراك[٤]. وعندما خرج المعتصم لقمع مهدي بن علوان الشاري[٥] بنواحي الموصل[٦] والجزيرة كان في جيشه عدد من القواد الترك مثل: أبو جعفر أشناس[٧] الذي حمى المعتصم من طعنه تلقاها من أحد أتباع مهدي الشاري ، وكان هذا الفعل سبب في قرب أشناس التركي من المعتصم منذ ذلك الحين[٨].

وقد تعددت الجهات التي قدم منها الترك لخدمة المعتصم والانضمام لجيشه فمنهم مَن كان مِن الصغد[٩]، وفرغانة، وأُشْرُوْسَنَة، وأهل الشَّاش[١٠]، بل وأصبح باب المعتصم مقصد لملوكهم كذلك، وأسهم هذا الاحتكاك إلى انتشار الإسلام بين قبائل الترك سواء بالمكاتبة والدعوة أم بالحرب، حتى صار أهل تلك البلاد –السابق ذكرها– يغزون مَنْ

(١) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج١، ق١، ص١٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٦٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ص١٧٨٦.

(٣) اليعقوبي: البلدان، ص٢٣.

(٤) الكندي: الولاة والقضاة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٤١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٥٥.

(٥) مهدي بن علوان الشاري: أحد الخارجين عن سلطة الخلافة العباسية في منطقة الموصل والجزيرة أثناء عهد الخليفة المأمون وبعده الخليفة المعتصم (الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، تقديم محمد أبو الفضل إبراهيم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة– الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص٣٥٠–٣٥٢).

(٦) الموصل: مدينة مشهورة عظيمة، إحدى قواعد بلاد الإسلام، باب العراق ومفتاح خراسان، منها تقصد أذربيجان، سميت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وهي مدينة قديمة الأساس، على طرف دجلة، قيل بناها مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، بينها وبين بغداد أربعة وسبعون فرسخاً (ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٣٣٣–١٣٣٤).

(٧) أبو جعفر أشناس التركي: قائد تركي الأصل، اشتراه المعتصم وهو غلام، ترقى في المناصب لما ظهر من شجاعته، حتى وصل إلى أن يصبح والي لمصر، وأرسل موسى بن أبي العباس نائبا عنه بها، توجه الواثق العباسي في ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م وألبسه وشاحين بالجوهر، مات ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م (الكندي: الولاة والقضاة، ص١٤٦، محمود مصطفى: إعجام الأعلام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٦٥).

(٨) الأزدي: تاريخ الموصل، ص٣٥٢، لم يكن المعتصم قد تلقب بهذا اللقب، فذكر في تلك الأحداث باسمه أبو إسحاق بن الرشيد (الباحث).

(٩) الصغد: وهو صغديانا Sogdiana القديمة، يشتمل على الأراضي الخصبة في ما بين نهري جيحون وسيحون، التي كانت تسقيها مياه نهري هما زرفشان أي نهر السند، والنهر المنساب حيال مدينتي كش ونسف (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٣).

(١٠) الشَّاش: مدينة جليلة وإقليم من الخامس وراء سيحون، وهي في أرض سهلة، من أنزه بلاد ما وراء النهر، لها مدن كثيرة تزيد عن خمس وعشرين مدينة، وهي من عمل سمرقند (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص٤١٢– ٤١٣).

ورائهم مِنْ الترك". ثم توالت، وزادت بعد ذلك مزاياهم، واستشرى خطرهم في العصر العباسي الثاني[١].

والعنصر التركي أقل حضارة من العنصر الفارسي وطبيعتهم تميل إلى الحروب يقول عنهم الجاحظ[٢] عند ذكره مناقب الترك: "ولو حصلت عُمر التركي وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض". ويصف هوجائيتهم بقوله[٣]: "وإنما هم كالطير لا تدخر ولا تهتم لغد، ولها في كل أرض من المياه والأقوات ما تتبلغ به، وإن لم تجد ذلك في بعض البلاد فأجنحتها تُقرب لها البعيد"، فكانت طبيعتهم تميل إلى الصدام والغوغائية. تلك الحالة التي وصفها اليعقوبي[٤] قائلاً: "كان أولئك الأتراك العجم إذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يميناً وشمالًا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضًا، ويضربون بعضًا، وتذهب دماؤهم هدرًا... فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد".

ولكثرة عسكر المعتصم من الأتراك، وضيق بغداد بهم، وتآذي الناس بهم، بنى المعتصم سر من رأى –سامراء–، وانتقل إليها فسكنها بعسكره، وسميت العسكر، وذلك في ٢٢١هـ/ ٨٣٦م[٥].

ولقد أحس المعتصم بخطورة مطامع الأتراك ونزعة العصيان لديهم، وبدأ يدرك أن التوازن بين سلطة الخلافة والأتراك بدأ يختل مما ينذر بخطر ضياع هيبة الخلافة، لهذا وجه إلى الأتراك ضربة شبيهة بالضربة التي وجهها أبو جعفر المنصور للخراسانيين بقتل أبي مسلم الخراساني[٦]، فبطش المعتصم بالأفشين[٧] ليكون عبره لغيره، وليوقف تيار هذا الطموح. لكن المعتصم برغم ذلك لم يتخل عن سياسة الاعتماد

(١) مشاعه بنت جهيم بن مقبول العتيبي: الجيش العباسي في عصر نفوذ الأتراك وتأثير تمردهم على الحياة السياسية والاقتصادية (٢٣٢-٣٣٤هـ/ ٨٤٧- ٩٤٨م)، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد الثاني والعشرون، الجزء السابع، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م، ص٦٣٧٠.

(٢) رسائل الجاحظ "مناقب الترك"، ج١، ص٤٨.

(٣) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص٤٢.

(٤) البلدان، ص٢٣.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مطبعة السعادة، ١٩٣١م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت، ج٣، ص٣٤٦.

(٦) أبو مسلم الخراساني: أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، الخراساني القائم بالدعوة العباسية، ولد سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م ظهر بخراسان ١٢٩هـ/ ٧٤٦م قتله المنصور سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م وهناك خلاف حول تاريخ الوفاة (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٧٠م، مج٣، ص١٤٥، ١٤٩، ١٥٤).

(٧) الأفشين: عندما عزم المعتصم على قتل أفشين بعث له تابع له اسمه حمدون بن إسمعيل فاعتذر الأفشين له عن جميع ما قيل فيه ولكنه حمله إلى دار إيتاخ فقتل بها وصلب على باب العامة ثم أحرق وذلك في شعبان ٢٢٦هـ/ يوليو ٨٤١م و قيل قطع عنه الطعام و الشراب حتى مات (ابن خلدون تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م،ج٣، ص٣٣٦- ٣٣٧).

على الأتراك، ويبدو أنه لم يكن في استطاعته ذلك، فقد أصبح الأتراك قوة كبيرة، ولم يكن من الممكن الاعتماد على العرب والفرس بعد أن فسد الأمر بينهما وبين الخلافة[١].

وكان من أبرز الشخصيات التركية التي ظهرت آنذاك، إيتاخ التركي[٢] إذْ قيل كان المعتصم إذا أراد قتل أحد فبيد إيتاخ يُقتل وبيده يُحبس" وسار الواثق بالله ابن المعتصم (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢- ٨٤٧م) بعده على هذا المنوال مع هذا الشخص[٣].

وفي سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م، أثناء خلافة الواثق بالله زادت مكانة أشناس التركي بعدما أقدم الخليفة الواثق بالله على استخلافه على السلطنة، وألبسه وشاحين[٤] مجوهرين وتاجاً مجوهراً، فكان أول خليفة استخلف سلطاناً، فقد اتبع الواثق سياسة أبيه في الإكثار من الاعتماد على الترك[٥].

ووصفت خلافة الواثق بأنها فترة انتقال بين عهدين: الأول منهما هو عهد تمكن الأتراك مع بقاء هيبة الخليفة، والثاني ويبتدئ بالخليفة المتوكل، وهو عهد تمكن الأتراك مع زوال هيبة الخليفة وانحدار مكانته[٦].

(١) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٣٢٨.

(٢) إيتاخ التركي: من مماليك المعتصم، قدمه وجعله قائد، وتقدم في عهد المتوكل؛ فكل من أراد المتوكل قتله وتعذيبه يجري ذلك على يد إيتاخ، وشرب المتوكل يوما وعربد على إيتاخ فأراد هذا قتله، فاعتذر منه المتوكل ، وحقدها عليه، ولما حج إيتاخ وعاد، أمر المتوكل أمير بغداد فاعتقله وقتله سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م (التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي المحامي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م، ج٨، هامش ص١٤، محمود مصطفى: إعجام الأعلام، ص٦٨).

(٣) مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٤، ص١١٥، أحمد محمد عدوان: الدولة الحمدانية، ص١٨.

(٤) وشاحين: الوشاح هو حزام عريض منظوم باللؤلؤ (ابن سيده: المخصص، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، القاهرة- مصر، ١٣١٧هـ، ج١، ص٩٩).

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٧٠، محمود مصطفى: إعجام الأعلام، ص٦٥.

(٦) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٣٢٩.